جامعة المنصورة
كليـة الآداب

أثر الحضارة العثمانية في تطور الخط العربي

إعـــداد
الدكتور / حمود جلوي فرج
عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية التربية الأساسية
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
بالكويت

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثامن و الستون – يناير ٢٠٢١

أثر الحضارة العثمانية في تطور الخط العربي

د/ حمود جلوي فرج

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بالكويت

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على توضيح دور الحضارة العثمانية فى تطور مسيرة الخط العربي وكيف أثرت فيه مما كان لها الأثر الفاعل خلال مراحل تطوره وخروجه من التقليد إلى التجديد وإبداع خطوط جديدة ، وكذا تطوير فنون التجليد والتذهيب وصناعة الأحبار.

***الكلمات المفتاحية** : الخط العربي ،الحضارة العثمانية د العثمانيين ، تحولات الخط العربي .*

Abctract :

Othman`s Civilzation results ( role ) in developry calligraphy This research shows the role of Othman`s civilization role of how improved the Arabic handuritiy , How it affected and has it`s distinguished role that made its role so great through its ages . How it became renewable not old one . It had improved new methods of handwriting . How they thought covering , golding and ink industry..

المقدمة:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير محمد ﷺ .... أقول:

ستقف هذه الأوراق البحثية حول ما كان للحضارة العثمانية من دور فاعل ومؤثر في مسيرة تطور فن الخط العربي ، وكيف أن هذه المراحل قامت بدورها المنوط بها في عملية التطوير ومن ثم الغاية الحقيقية التى جعلت من تطوير الخط العربي في العصر العثماني وحضارته المزدهرة غاية منشودة من خلال مراحل التطور المهمة وأثرها على حركة التطور للخط العربي وكيف أن الخط العربي في العصر العثماني لم يظل مُقلدا بل تطور وخرج من دائرة التقليد إلى التجديد وابتداع خطوط جديدة بل امتد هذا الخلق الجديد إلى التطوير حتى في التجليد والتذهيب .

وهذا مما ستعكف علي إبرازه صفحات تلكم الدراسة وتقديم هذا الأثر العميق للحضارة العثمانية في حركية تطور الخط العربي وكيف ساعد هذا التأثير على عالمية الخط العربي وفرادته وتطوره عبر العصور والتاريخ .

يرة تطور الخط العربي :

إن المتتبع لتاريخ الخط العربي يجد أنّ هذا الفن لم يكن مقتصرا على شخص دون آخر، وهو ليس رؤية شخصية، ولكنه تاريخ أمة قامت به مجموعة من الجهابذة والفنانين والمحترفين والموهوبين الذين فتحوا العالم، وأضاؤوا على الدنيا نورا وهاجا، وحملوا إلى الإنسانية حللا من العبقرية التي قلّ نظيرها، وكانت رسالة الحق والخير والجمال، فلا ننس أنهم خير من تذوقوا الناحية الفنية في الخط العربي، وتحسسوا حلاوة الحرف وجماله حين يكون جزءا من بناء

متكامل، لقد زاوجوا بين المعنى والشكل في براعة نادرة، ونفخوا في رسم الكلمات روحا شفافة، تتراءى بين الحروف لتصبح الجملة المكتوبة آية يموج فيها الجمال الحي النابض، فهؤلاء الذين أنجبهم التاريخ في لحظة نادرة كي يرسموا المعالم المهمة والقيم النبيلة لهذا الفن العريق، والضارب جذوره في أعماق التاريخ[١].

إنّ فن الخط العربي فن مستقل له منطق جمالي، تحكمه خصائصه وأساليبه ومساراته، فجماليات اللوحة الخطية ليست في جمالية الحروف وأشكالها فحسب، بل في جمال انتظام الشكل الذي يكونه الخطّاط عبر تلك الحروف، وقد تميّز الخط العربي كفن بطابع الأصالة؛ حيث إنه نبع من روح عربية صرفة وتطوّر محتفظا بخصائصه العربية، بعيدا عن التأثيرات الأجنبية، وخاصة عندما ارتبط بالقرآن الكريم، ومن ثمّ أعجب المسلمون به ولم يقف إعجابهم به عند هذا الحد، بل صار يتصل بالناحية الجمالية العاطفية، الدينية، ويتضح أثر ذلك بوضوح في ارتباطه بالزخرفة الإسلامية، إذ تأثرت الوحدات الزخرفية الإسلامية بوحدات الخط العربي، فالخط العربي يمتلك من الخصائص الجمالية الكثير، ويتميز بآفاق جمالية واسعة، تعطي تكوينات فنية لا حدود لها، فهو تراث متجدد، أينما يقف يسمو، وأينما تحرّك فهو يعطي للعين موسيقا تسحرها إلى شواطئ الإبداع والخيال الخصيب[٢].

إنّ الحرف هو مادة القراءة ووسيلتها، وهو عنصر تتجلى بواسطته المعاني، وآلية للرقي الفكري طوّرتها الشعوب وأبدعت في أنواعها وأشكالها الهندسية، ويختصّ الخط العربي بكونه أشكالا ورسوما تطورت عبر العصور، ثم جعل لها الوحي القرآني روحا، وحمّلها ما لا نهاية له من كنوز المعاني وأسرارها، وكما تنافس القراء في تجويد قراءة آيات الذكر الحكيم، تنافس الكتاب والخطاطون في تجويد حروفه، وأبدعوا في تنويع خطوطه، بعد أن اجتهد اللغويون في تطويعه وتبسيطه بعلامات تزيد من وضوحه، وترفع عنه الصعوبات القرائية[٣].

لكنّ الملفت للنظر أنّ الخط العربي لم يتطور ولم يكتسب مكانته المرموقة التي وصل إليها إلا بعد ظهور الإسلام، وما اكتسب أهميته وقدسيته

---

(١) إبراهيم سليمان شيخ العيد(٢٠٠٩): واقع تدريس الخط العربي في المرحلة الأساسية من وجهة نظر المعلمين والمشرفين، مصر، **مجلة القراءة والمعرفة**، العدد٨٩، أبريل، ص١٧٧.

(٢) هشام إبراهيم عز الدين محمد علي(٢٠١٧): تطبيقات الخط العربي في التصميم الداخلي الحديث، السودان، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد١٨، العدد١، ص٢٥٩.

(٣) ماجدولين النهيبي(٢٠١٦): **رحلة الخط العربي: من التمثيل الحرفي إلى التشكيل الفني، آفاق لغوية: أعمال مهداة إلى الأستاذ إدريس السغروشني**، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المغرب، ص٢٧٥.

إلا بارتباطه بلغة القرآن، فقد أقسم الله عز وجل بالقلم "ن والقلم وما يسطرون"، وما أقسم الله بشيء إلا وله أهمية، ولهذا احتلّ الخط العربي مكان الصدارة بين جميع مجالات الفن الإسلامي؛ مما أكسبه وممارسيه جلالا ورفعة[٤].

ولما كان الخطّ العربي هو الوسيط التشكيلي لإظهار وحفظ لغة القرآن على مرّ العصور، دفع ذلك الأمر بما فيه من أهمية الفنان العربي إلى الإجادة والابتكار فيه لارتباط الخط من هذه الزاوية بالمعاني الرمزية والروحية التي يقدمها القرآن الكريم[٥].

لقد سما الخط العربي جماليا مع سموّ النص القرآني بيانيا، وكان نسخ المصاحف أولّ حافز على تجويد الخط وتحسينه[٦].

لقد ارتبط الخط العربي ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم؛ وهذا ما جعل تطويره وتجويده غاية دينية سامية، فشرع المسلمون عامة لتطويره، إذ ألبسوه لباسا قدسيا من الدين، وجعلوه مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية العريقة.

فأصبح الخطّ فنا غايته الجمال، وأصبح الخطاط فنانا، فوضعت للخط قواعد واخترعت طرائق، وظهرت أساليب، وطلعت مدارس، كلها تهدف لبلوغ الجمال[٧].

ولم يعد الخطّ العربي مفخرة للعرب وحدهم، بل للمسلمين عامة، في مشارق الأرض ومغاربها، فقد شكل أحد المظاهر البارزة والرئيسة، للحضارة العربية الإسلامية، منذ صيرورتها الأولى وحتى اليوم، فتطور مع تطورها، وله خصائصه ومزاياه التشكيلية والتعبيرية، التي شهدت بدورها تطورا كبيرا، خلال مراحل تطور هذه الحضارة، ولا يزال حتى يومنا هذا موضع اهتمام وبحث وتجريب[٨].

---

(٤) جيهان صدقة سليمان فتيني(٢٠٠٤): دراسة تحليلية مقارنة لتشكيلات الخط الفارسي والخط الديواني والاستفادة منها في ابتكار تصميمات معاصرة، **رسالة ماجستير**، جامعة أم القرى، كلية التربية، السعودية، ص٢.

(٥) ياسر محمد سهيل(٢٠٠٨): خطة ابتكارية لإخراج نماذج تصميمية تشكيلية جديدة من الحرف العربي، **مجلة بحوث التربية النوعية**، جامعة المنصورة، العدد الحادي عشر، يناير، ص٢٤٥.

(٦) عفيف البهنسي(٢٠٠٦): الخط العربي في فضاء التربية والتعليم، تونس، **أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مايو، ص١٩٣.

(٧) محمد الصادق عبد اللطيف(٢٠٠٦): في التاريخ الثقافي التونسي: لمحات من تطور الكتابة والخط في تونس إلى نهاية القرن الخامس الهجري، **أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية**، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو، ص٩٣.

(٨) محمود عبد الله الرمحي(٢٠١٣): **حروفيات الخط العربي**، السعودية، الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، العدد٤١، ص٦.

لقد عبّر الخط العربي خلال مساره الطويل عن ملامح حضارتنا العربية الإسلامية، فلكل لغة من لغات العالم خطها، وإنّ احترام تلك اللغة وخطها من شأن أصحابها، فالفنان المسلم استطاع أن يخضع حروف العربية المختلفة– شكلا ورسما ونطقا– إلى حاسته الفنية التي أخرج منها صورا جميلة، وأكسبها وضوحا في المعنى، وأودعها سّرا يحمل الناظر إليها على الإعجاب، وبهذا كان الخط العربي كالكائن الحي ينمو، ويتنوع، ويتجدد باستمرار، فأصبح من الفنون الجميلة التي تشحذ المواهب، وتربي الذوق، وترهف الحس، وتغزي الجمال[٩].

وهنا نقف لنتأمل بإعجاب ما جادت به قرائح المبدعين، وما فاض به امتداد خيالهم الخصب، فنتوقف مجبرين أمام روعة الخط العربي متنقلين عبر فتنة تعرجاته التي تتمايل بتغنج وإغراء، لتفتن القلوب والعقول، ثم نتساءل عن تاريخه لنجد العراقة تتجلى للعيان منذ بداياته في أزمنة غابرة إلى يومنا هذا، حيث نالت الحضارة الإسلامية شرف اشتراك مجموعة من الشعوب في تكوينها بناء على اختلاف الأصول والمواطن واللغات التي جمع الإسلام بينها كدين موحد، فقد أخذ المسلمون على عاتقهم مهمة الاهتمام بالخط العربي منذ فجر الدعوة الإسلامية؛ لذا صار مسايرا لها[١٠].

والواقع أنّ حروف لغتنا العربية إلى صورتها الحالية إلا بعد أن مرت بعدة مراحل من التطور عبر الزمن، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من جمال وتنسيق لحروفها[١١]، فالخطّ العربي فن أصيل صاحب الحضارة العربية ومضى مع تطورها، وكان له دور مهم ليس كوسيلة للتفاهم ونقل الأفكار والمعاني فحسب، وإنما أيضا كعمل فني له كل خصائص الفنون وقيمتها الجمالية[١٢].

فلم يكن الشكل الأول للخطّ العربي عند نقطة بدايته التاريخية/ما قبل الإسلامية معروف الصورة والمعالم البصرية على وجه الدقة واليقين

---

(٩) إبراهيم سليمان شيخ العيد(٢٠٠٩): واقع تدريس الخط العربي في المرحلة الأساسية من وجهة نظر المعلمين والمشرفين، مصر، **مجلة القراءة والمعرفة**، العدد٨٩، أبريل، ص١٧٦.

(١٠) جواد جلطي(٢٠١٣): الخط العربي: دراسة في الجذور والتطور من عصر فجر الإسلام إلى العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ص أ.

(١١) فتحي علي مخزوم احجيبه(٢٠١٥): الخط العربي في العصر الجاهلي النشأة والتطور(دراسة تاريخية)، ليبيا، **المجلة العلمية لكلية التربية**، العدد الرابع، ديسمبر، ص ٢٣٤.

(١٢) أماني محمد شاكر(٢٠٠٧): حلول تصميمية جديدة للمعلقة النسجية بالاستعانة بجماليات الخط العربي وأسلوب النسيج ثلاثي الأبعاد، **المؤتمر العلمي السنوي الثاني، معايير ضمان الجودة والاعتماد في التعليم النوعي بمصر والوطن العربي**، كلية التربية النوعية بالمنصورة، المجلد٢، ١١-١٣ أبريل، ص٨٥٧.

والكمال، إلا ما قدمته بعض المصادر اللغوية والتاريخية العربية من معلومات عامة تفيد بأن عرب ما قبل الإسلام كانوا قد اصطلحوا على تسمية خطهم (الجزم) التي تدل على الشكل اليابس المبسوط[١٣].

ويبدو أنّ بعض العارفين العرب الأوائل بالكتابة والخط قد انتبهوا خلال تنامي الشأن الوظيفي لهما في صدر الإسلام إلى تحول نسبي في شكل خط الجزم من اليبوسة والبسط إلى الليونة والتقوير، نتيجة الخفة والسرعة في الكتابة، فميزوا الشكل الآخر للخطّ العربي باسم(المشق)[١٤].

ويبدو أنّ الخطّ العربي قد انطلق من هذه الثنائية الشكلانية في تمييز(الأسلوب الفني) له على أسس: الاستحسان، والجودة، والأداء، والوظيفة، منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، بما أدى إلى إنتاج(التنوع) الخطي القائم على تباين الخصائص الشكلية والأدائية والوظيفية في أنواع الخط العربي [١٥]:

- مدى توفرها أو احتوائها على صفات: اليبوسة/البسط/الاستقامة/ الاستواء.. أو الليونة/ التقوير/ التدوير/ الانحناء في الشكل.
- مدى خضوعها لعمليات التحقيق/ التحسين في الكتابة.. أو السرعة/ الخفة في الأداء.
- مدى الإجلال/ التعظيم...أو البساطة/ التواضع في الوظيفة.

ومن هنا، أي على أساس هذا التقابل في خصائص الشكل بخاصة، انتظمت أنواع الخط العربي في منظومتين فنيتين رئيستين هما: منظومة(الخطوط الموزونة/ المحققة/ المبسوطة/ اليابسة/ الكوفية، ومنظومة(الخطوط المنسوبة)/ المطلقة/ المقورة/ اللينة/ النسخية[١٦].

تحولات التطور في الخط العربي :

لقد شهد فن الخط العربي تدرج التحولات الكبرى في مساره التطوري، إذ ظهرت أنواع من الخطوط ذات قواعد وضوابط جمالية متعددة، اخترعت لأهداف متباينة، ثمّ استمرت رحلة التحسين والتجويد حتى أصبح المظهر أو البعد الجمالي سمة مميزة وواضحة المعالم، وأصبحت العديد من الخطوط تعتمد لأغراض التزيين

(١٣) إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، **دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢، ص٢١٥.

(١٤) إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، **دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢، ص٢١٥.

(١٥) إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، **دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢، ص٢١٥.

(١٦) إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، **دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢، ص٢١٥.

والتجميل في المشيدات المعمارية، الدينية والمدنية، وفي التحف المنقولة على اختلافها، حيث تؤدي أغراضا زخرفية، جنبا إلى جنب مع الزخارف الهندسية والنباتية والمعمارية[١٧].

فقد استعمل العرب حروف الكتابة العربية كعنصر تزييني، وأضفى الفنان الإسلامي عليها الحيوية بإخضاع الخط العربي إلى تكوين هندسي، فكان الخط الرصين، ثم لين خطوطه فغدت رشيقة ذات بدايات ونهايات منتحلة، من النباتات، وزاد في تجميله بأوراق النباتات والزهور، وأطلق عليه الخط الكوفي المزهر، والكوفي المشجر، ثم أخضعه للترتيب الهندسي، وأدخل بين ثناياه الزخارف الهندسية، فكان الخط الكوفي المعقد، الذي ولد في القرن الثالث الهجري[١٨].

وكتب أصحاب النقوش العربية الشمالية لغتهم العربية بأربعة خطوط مشتقة من أصل واحد، يختلف بعضها عن الآخر في رسم أشكال بعض الحروف، وهي: الثمودي، الديداني، اللحياني، الصفوي[١٩].

إنّ الخطّ العربي قد أخذ شكله الأول على يد الفنانين العرب، وبدءا من القرن الرابع عشر الميلادي تطور الخط على يد الخطاطين الذين نشؤوا في الأناضول وإيران[٢٠].

واستمرّ تطوّر الخطّ ووضع القواعد له حتى العصر العثماني على يد مصطفى الراقم الذي سار على نهجه بقية الخطاطين العثمانيين[٢١].

إنّ التاريخ يخبرنا بمدى إسهام الأتراك الرائع في تجويد الخطوط العربية، ففي العالم الإسلامي ساد المثل الذي يقول: نزل القرآن في الحجاز وقرئ في مصر، وكتب في إسطنبول، والواقع أن معجزة القرآن كتحفة لم تنعكس على

---

(١٧) هشام إبراهيم محمد وعبد الناصر الزين محمد(٢٠١٧): فاعلية الخط العربي المنمط في تعزيز قراءة العلامات المرورية"دراسة على طريق التحدي–الخرطوم–عطبرة، السودان، **مجلة العلوم الإنسانية،** جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد١٨، العدد١، ص٢٧٦.

(١٨) علي عفيفي علي غازي(٢٠١٦): الخط العربي في كتابات الرحالة يوليوس أويتنج، الإمارات، **مجلة شؤون اجتماعية،** المجلد٣٣، العدد١٣٢، شتاء، ص١٦٨

(١٩) علي عفيفي علي غازي(٢٠١٦): الخط العربي في كتابات الرحالة يوليوس أويتنج، الإمارات، **مجلة شؤون اجتماعية،** المجلد٣٣، العدد١٣٢، شتاء، ص١٧٠–١٧١.

(٢٠) علي ألب أرسلان(٢٠٠٧): الخط العربي عند الأتراك، السعودية، **الدارة،** المجلد٣٣، العدد١، محرم، ص٢١٥.

(٢١) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي**"، المجلد٣، أبريل، ص١٤١٦.

الورق إلا في إسطنبول، وكذلك اللآلئ من أحاديث الرسول ص لم تكتب مثل حبات اللؤلؤ إلا في هذا البلد أيضا[٢٢].

فقد انتقلت الخلافة إلى الدولة العثمانية، وأصبحت إسطنبول منارة للعلم والمعرفة، وتألق فن الخط العربي على يد مجموعة من الخطاطين المبدعين أمثال مصطفى راقم، والحافظ عثمان، والحاج أحمد كامل، وسامي، وشوقي، وعبد الله زهدي، وحامد الآمدي[٢٣].

وقد تأثّر الخطاطون الأتراك بمدرسة بغداد، ولا سيما بطريقة ياقوت المستعصمي، وقلدوها، واشتهروا بها حتى برعوا فيها، وأصبحوا أساتذة، منهم علي بن يحيى الصوفي، وحمد الله الأماسي(٩٢٦هـ) الذي اتبع طريقة الخطاط ياقوت المستعصمي البغدادي وأتقن الأقلام الستة وبخاصة خط الثلث، ثم الحافظ عثمان(١١١٠هـ)[٢٤].

ومن المعلوم أنّ الأتراك العثمانيين منذ إسلامهم، كانوا على معرفة بسيطة بالخط العربي اكتسبوها من أبناء عمومتهم سلاجقة الروم، واستعملوه في كتاباتهم ولا سيما القرآن الكريم دون تغيير يذكر، وظل الحال كذلك حتى بعد قيام دولتهم على يد عثمان بن أرطغرل سنة(٦٩٩هـ/١٢٩٩م)؛ وذلك لانصرافهم للجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته، ونشر الإسلام في الغرب وتثبيت أركان دولتهم الفنية، إلا أن الاهتمام البالغ والرعاية الفائقة لفن الخط العربي يمكن أن يؤرخ له بعد فتح القسطنطينية سنة(٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، حيث بدأ عصر النهضة والازدهار يشمل كل مرافق الحياة، ومن أهمها ميدان فن الخط، فمنذ عصر السلطان محمد الفاتح(القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) تم وضع أسس الخط العربي وإرساء قواعده، وبعد فتحهم للعالم الإسلامي(٩٢٢ و٩٢٣هـ/ ١٥١٦و ١٥١٧) في عهد السلطان سليم الأول ازدادت العناية والاهتمام بفن الخط العربي حتى وصل ذروة حيويته ونضوجه في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي على أيدي مجموعة من الخطاطين الأفذاذ،

(٢٢) بركات محمد مراد(٢٠٠٨): الفلسفة الجمالية لعبقرية الخط العربي، المغرب، **اللسان العربي**، العدد٦١، يونيه، ص٢٢١.

(٢٣) عبد الله إسحاق عطار(٢٠٠٦): أثر تدريس مقرر الخط العربي(١٠٥عرب) في تنمية مهارات الأداء الخطي لدى طلاب كلية المعلمين بمدينة مكة المكرمة دراسة ميدانية، مصر، **مجلة كلية التربية**، جامعة بنها، المجلد١٦، العدد٦٥، يناير، ص١٧٦.

(٢٤) هشام إبراهيم عز الدين محمد علي(٢٠١٦): فاعلية تحوير بنية حروف خط الثلث في تعزيز جمالية اللوحة الخطية، **حولية الحرف العربي**، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد٢، ص١٣٢

أمثال: حمد الله الأماسي، وأحمد قرة حصاري، والحافظ عثمان وغيرهم[٢٥].

لقد استدعى السلطان سليم من مصر وفارس أعظم الخطاطين ليعلموا الأتراك، ثم تفوق الأتراك على أساتذتهم، وأضافوا إلى الخطوط المعروفة: خطوط الديواني وجلي الديواني أو الهمايوني، والرقعة، والإجازة، والطغراء التي هي علامة السلاطين العثمانيين[٢٦].

لقد اهتمت الدولة العثمانية في تركيا بتجويد الخط، وأنشأت في الأستانة عام ١٣٢٦هـ أول مدرسة لتعليم الخط والتذهيب، وطوروا ما وصلهم من خطوط، كقلم الثلث والثلثين اللذين أخذوهما من المدرسة المصرية، وخط النسخ السلجوقي، وزادوا على ذلك بابتكار خطوط جديدة: كالديوان والهمايوني المتولد عنه، وجلي الديواني، وخط الإجازة الذي يجمع بين النسخ والثلث، وتفردوا بخط الطغراء، كما شملوا بعنايتهم فن تهذيب المصاحف وزخرفتها[٢٧].

وقد كان تعليم الخط في الدولة العثمانية جزءا لا يتجزأ من التعليم العثماني العام على مدى تاريخه الرسمي والشعبي، ولم تكن أهمية الخط هذه نابعة من مكانة اللغة العربية الأساسية في هذا التعليم وحسب، بل نابعة من كون الخط أداة لغتي الدولة الأخريين، الفارسية والتركية؛ ولذلك ظل الخط قائما في التعليم العثماني الرسمي الذي كانت فيه اللغة العربية لغة التعليم الأساسية في مؤسساته كافة[٢٨].

ولم يكن هدف هذا التعليم مقصورا على تمكين الطالب من الكتابة، ولو في أدنى مستويات التمكين الوظيفية، كما يلاحظ ذلك في التعليم العام، بل إنه يسعى إلى التمكن من جودة الخط، إذ جاء المصطلح الأكاديمي العثماني مطابقا تماما للرؤية والاهتمام العثمانيين في تبني حسن الخط، وليس مجرد الإملاء والكتابة،

---

(٢٥) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٧٨.

(٢٦) أحمد رمزي(٢٠٠٧): **الخط العربي نشأته وتطوره وبدائعه**، المغرب، الأكاديمية، ص١٩٩.

(٢٧) الزبير مهداد(٢٠١٣): **الخط العربي: رحلة إبداع**، السعودية، الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، العدد٤١، ص١٤.

(٢٨) هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): عوامل تميز فن الخط العربي في ظل الدولة العثمانية، السودان، **مجلة التنوير**، مركز التنوير المعرفي، ديسمبر، ص١٩٥.

على الرغم من ندرة انتشار الأخيرة في المجتمع العثماني[٢٩].

وصار في عهد الدولة العثمانية ألفاظ مصطلحات عديدة لمناصب وظيفية حكومية رسمية تختص بفن الخط، مثل: الخطاط، ورئيس الخطاطين، ومعلم حسن الخط، وغير ذلك، بل صارت في أواخر هذا العهد مؤسسات أكاديمية تدريسية متخصصة بفن الخط، مثل (مدرسة الخطاطين)، وهي بلا شك أكثر تطورا وتنظيما مما كان قائما، من قبل، من مثل هذه المؤسسة بما كلن يعرف بلفظ/اسم/ مصطلح (المكتب/ المكتبات)[٣٠].

صور تطور الخط العربي في الفن العثماني :

ويظهر الخط العربي بأروع صورة في الفن العثماني، فقد نضجت صوره وأشكاله وسار به الخطاطون العثمانيون خطوات كبيرة عُدّت تفوقا هائلا في مجال الخط العربي، ويعود هذا التفوق للاهتمام الكبير والتشجيع الذي لقيه هذا الفن وأهله من قبل السلاطين العثمانيين، بل وكان بعض هؤلاء السلاطين أنفسهم من كبار الخطاطين[٣١].

وقد بلغ من تقدير العثمانيين للخط أنّ بعض سلاطينهم تتلمذ على يد كبار خطاطي ذلك العصر، فتتلمذ السلطان مصطفى الثاني، والسلطان أحمد الثالث على يد الخطاط(الحافظ عثمان)، وتتلمذ السلطان عبد المجيد الثاني عند الخطاط(مصطفى عزت) ونال منه إجازة في الخط، واشتهر بعض سلاطين آل عثمان بالخطوط العربية، حتى أنّ السلطان محمود الثاني اشتهر بالخط الرائع[٣٢].

لقد كان لاهتمام السلاطين بالخط والخطاطين دور كبير في الابتكار والإبداع، فقد استوت في عهدهم خطوط الثلث، والنسخ والريحاني، والثلث الجلي، والتعليق(الفارسي)، واستطاعوا إنتاج لوحات خطية رائعة، تلاعبوا فيها بالحروف وابتكروا أشكالا متنوعة مركبة على هيئات آدمية وحيوانية ونباتية، كما أبدعوا

---

(٢٩) هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): عوامل تميز فن الخط العربي في ظل الدولة العثمانية، السودان، **مجلة التنوير**، مركز التنوير المعرفي، ديسمبر، ص١٩٦.

(٣٠) إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، **دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢، ص٢١٨.

(٣١) عبد الله بن عبده فتيني(٢٠٠٦): تاريخ فن الخط العربي من نشأة الكتابة إلى نشأة البنية الجمالية، **أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو، ص٨١.

(٣٢) محاسن جانودي(٢٠١٤): رائدات الكتابة وفن الخط العربي منذ عصر الرسالة وحتى نهاية العصر العثماني، العراق، **مجلة آداب البصرة**، كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد٧١، ص٢١٣.

في الأشكال المقلوبة والمتعاكسة والمتناظرة، ووضعوا قواعد لخطوط لم تكن مسبوقة مثل: الخط الديواني والرقعة والطغراء(توقيع السلطان العثماني)، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالزخرفة والتذهيب[٣٣].

لقد ورث سلاطين آل عثمان في القسطنطينية حب الخط والخطاطين، حيث إنهم كانوا يتوقون الجمال في الخط، ووصف عصرهم بأنه العصر الذهبي للخط[٣٤].

وقد انتهت جودة الخطّ العربي إلى الوزير أبي علي محمد بن مقلة وأخيه أبي عبد الله، وولدا طريقة اخترعاها وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما، وتفرد أبو عبد الله بالنسخ، والوزير أبو علي بالدرج، وكان الكمال في ذلك للوزير، وهو الذي هندس الحروف، وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[٣٥].

وكان الوزير ابن مقلة مكتشفا للأقلام الستة لكفاءته ومعرفته الدقيقة بعلم الهندسة، وبذلك يكون قد أسس المرحلة الأهم في الخط العربي، وهي اختراع القواعد الأساسية لفن الخط التي تعتمد على الوحدات القياسية الثلاثة التالية: النقطة المربعة، وحرف الألف، والمستديرة الخط أو الدائرة، وقد توصّل ابن مقلة إلى النقطة المربعة عن طريق ضغط القلم بشكل مائل على الورق من أجل تناسب الأضلاع الأربعة المتساوية الطول للنقطة من حجم اتساع القلم، وأما الألف فهي عبارة عن شكل عمودي منتصب يصل قياسه إلى خمس أو سبع نقاط مربعة مصفوفة الواحدة فوق الأخرى، أما المستديرة الخط فهي عبارة عن دائرة نصف قطرها بطول الألف، وقد استخدمت أيضا كشكل هندسي أساسي، والأساليب الكتابية التي اكتشفها الوزير ابن مقلة تحت اسم الأقلام الستة هي: خط المحقق، وخط النسخ، وخط الثلث، والخط الريحاني، وخط الرقاع وخط التوقيع، وقد استخدمت كل هذه الخطوط بكثرة من قبل الحكومات والإدارات الإسلامية، ولم تستخدم إلا

---

(٣٣) عبد الله إسحاق عطار(٢٠٠٦): أثر تدريس مقرر الخط العربي(١٠٥عرب) في تنمية مهارات الأداء الخطي لدى طلاب كلية المعلمين بمدينة مكة المكرمة دراسة ميدانية، مصر، **مجلة كلية التربية**، جامعة بنها، المجلد١٦، العدد٦٥، يناير، ص١٧٦-١٧٧.

(٣٤) محاسن جانودي(٢٠١٤): رائدات الكتابة وفن الخط العربي منذ عصر الرسالة وحتى نهاية العصر العثماني، العراق، **مجلة آداب البصرة**، كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد٧١، ص٢١٢.

(٣٥) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٧٩.

أربعة منها لنسخ القرآن الكريم وهي الثلاثة الأولى بالإضافة إلى الأخير[٣٦].

ثم جاء بعد ابن مقلة خطاط آخر اسمه ابن البواب توفي عام(١٠٢٢م) وقد أغنى البواب نظام الأقلام الستة، وأضاف إليها أسلوبا جديدا أكثر رشاقة يدعى"المنسوب الفائق"، وبعد حوالي قرنين ونصف اخترع ياقوت المستعصمي(١٢٩٨م) طريقة جديدة لصنع الأقلام القصبية(الريشة) عن طريق بريها بشكل مائل، وقد أغنى ذلك الأساليب الستة، ثم بلور ياقوت أسلوبا جديدا لخط الثلث وخلع عليه اسم"الياقوتي"[٣٧].

ويتصف العصر العثماني بالغنى الخطي، فإلى جانب ما جوّده سلاطين آل عثمان من الخطوط القديمة، مثل خطوط: الثلث، الرقاع، النسخ والنسخ الحديث، فقد أبدعوا في إيجاد خطوط جديدة منها: خطوط الرقعة، الديواني، الديواني الجلي، السياقة الطفراء[٣٨].

وقد برع في هذا الفن سبعة خطاطين عُدّوا أساتذة الخط العثماني في القرن السادس عشر الميلادي، إذ لم تقتصر جهود الخطاطين على تجويد الخطوط المعروفة كالخط النسخي والريحاني والثلث، بل مزجوا بين خطي الثلث والنسخي، واستنبطوا خط الرقعة، الذي سرعان ما انتشر في كافة الأنحاء، ثم ما لبث الخطاط العثماني أن استعار من الخطاط الصفوي خط ال"نستعليق"[٣٩].

وقد ضلع الفنان العثماني في خط نستعليق، وغدا له فيه مذهب أطلق عليه خط"نستعليق عثماني" وكان لشدة ولع العثمانيين بالخط أن جنح خطاطوه إلى تقديم لوحات تشكيلية من الحروف، ثم أتى اكتشافهم "للخط الغباري" إلى الحد الذي جعل أحدهم يكتب القرآن بأثره على بيضة واحدة، ثم اهتم

---

(٣٦) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٧٩.

(٣٧) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٨٠.

(٣٨) محاسن جانودي(٢٠١٤): رائدات الكتابة وفن الخط العربي منذ عصر الرسالة وحتى نهاية العصر العثماني، العراق، **مجلة آداب البصرة**، كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد٧١، ص٢١٣.

(٣٩) أشرف فتحي عبد العزيز(٢٠٠٩): **فنون الأتراك وصناعاتهم الفنية في الدولة العثمانية**، مصر، المظاهر الحضارية المشتركة بين تركيا والعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس والجمعية العربية التركية للحوار والثقافة، مارس، ص١٤٢-١٤٣.

العثمانيون ب"الطغراء"، وقدمت منه نماذج رائعة تكاد تكون أجمل ما خلفه ديوان الدولة العثمانية[٤٠].

ومن أنواع الخطوط التي استخدمها العثمانيون في سجلات الشؤون المالية ودوائر تسجيل العقارات خط(السياقت)، والذي يتميز بصعوبة قراءته وكتابته وخلوه من الصنعة[٤١].

وقد تأثر الأتراك بخط النسخ والثلث، وبرعوا فيهما؛ مما مكنهم من ابتكار خط جديد قاموا بتسميته(الهمايوني) أو (الديواني) أو(المقدس)؛ لأنه كان سرا من أسرار القصور لا يعرفه إلا كاتبوه، وسمي بهذا الاسم لاستعماله في الدواوين الرسمية[٤٢].

وهو يشترك مع خط الرقعة في كثير من أوضاع الحروف وهيئتها، وقد خصصوه لكتابة الأوامر والمراسيم التي كانت تصدر عن ديوان السلطنة، فسمي(الخط السلطاني) أيضا، وتكتب به عادة اللوحات الفنية ذات الأهمية الكبيرة كالمراسيم الجمهورية والشهادات العلمية والسندات، كما تكتب به المعايدات والبطاقات الشخصية[٤٣].

وقد اختصّ الخطّ الديواني بالكتابات الرسمية في ديوان الدولة العثمانية، وكتابته تكون بطراز خاص، وخاصة بديوان الملوك والأمراء والسلاطين، وهو كتابة التعيينات في الوظائف الكبيرة، وتقليد المناصب الرفيعة وإعطاء البراءات، وما يصدره الملوك من الأوامر الخاصة، وغير ذلك وأحيانا يكتب به أسماء الكتب والإعلان، وقد أجاد الصدرالأعظم"شهلا باشا" هذا القلم، وروّج له بالتنقل والارتجال في أنحاء الدولة العثمانية[٤٤].

---

(٤٠) أشرف فتحي عبد العزيز(٢٠٠٩): **فنون الأتراك وصناعاتهم الفنية في الدولة العثمانية**، مصر، المظاهر الحضارية المشتركة بين تركيا والعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس والجمعية العربية التركية للحوار والثقافة، مارس، ص١٤٣.

(٤١) هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): عوامل تميز فن الخط العربي في ظل الدولة العثمانية، السودان، **مجلة التنوير**، مركز التنوير المعرفي، ديسمبر، ص١٩٧.

(٤٢) جيهان صدقة سليمان فتيني(٢٠٠٤): دراسة تحليلية مقارنة لتشكيلات الخط الفارسي والخط الديواني والاستفادة منها في ابتكار تصميمات معاصرة، **رسالة ماجستير**، جامعة أم القرى، كلية التربية، السعودية، ص٣.

(٤٣) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٦.

(٤٤) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم**

ويقال إنّ أول من وضع قواعده وحدد موازينه الخطاط إبراهيم منيف، وقد عرف هذا الخط بصفة رسمية بعد فتح السلطان العثماني محمد الفاتح للقسطنطينية عام ٨٥٧هـ، وسمّي بالديواني لأنّه صادر من الديوان الهمايوني السلطاني فجميع الإنعامات والفرمانات كانت لا تكتب إلا به، وقد كان هذا الخط في الخلافة العثمانية سرا من أسرار القصور، كما تميّز خط الديواني باستقامة سطوره من أسفلها، وحروفه ملتوية أكثر منها في الأنواع الأخرى[٤٥].

ومن الخطوط التي ابتدعها العثمانيون خطّ الديواني الجلي، وهذا النوع يسميه الأتراك(جلي الديواني) وأصله الديواني الجلي، وقد اخترعه الخطاطون الأتراك أيضا، وولدوه من خطي الديوان والإجازة، وكان اسم هذا الخط من الأضداد، حيث كان ينبغي أن يسمى(دقيق الديوان) ومطموس الديواني أو (خفي الديواني)[٤٦].

ومنشأ هذا الخط ليس وليد تفكير ولا نتيجة جهود قصد منها التحسين والإبداع، ولكنه وليد صدفة تهيأت لإيجاد غيره، فمهّدت له هو فتكون بالتتبع للملاءمة والتجانس، وأنه من فروع الخطّ الديواني الذي يحمل خصائصه ومميزاته، مما سمي الخطّ الديواني الجلي، وهو الخط الذي عرف في نهاية القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر[٤٧].

ابتدع الخط الديواني الجلي أحد رجال الفن يدعى "شهلا باشا" في الدولة العثمانية، وقد روج له أرباب الخط بالانتشار في أنحاء البلاد الإسلامية، وأولوه العناية بكتابته في المناسبات الجليلة الرسمية، وهو يمتاز عن أصله الذي تفرع منه ببعض حركات إعرابية ونقط مدورة زخرفية رغم أن ألف باء حروفه المفردة بقيت مشابهة

العالي في مصر والوطن العربي"، المجلد٣، أبريل، ص١٤١٩.

(٤٥) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي"**، المجلد٣، أبريل، ص١٤١٩.

(٤٦) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٧.

(٤٧) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي"**، المجلد٣، أبريل، ص١٤٢٠.

لأصلها الديواني باستثناء العين والحاء ومثيلاتها، وقد ضبطت بقواعد ميزان النقط على غرار الخط الثلثي(٤٨).

وخط جلي الديواني شبيه بالديواني إلا أنه يحتاج إلى كثير من التعديل والتزويق في حروفه ذات التقويسات وطريقة كتابتها تكون بين متوازيين بقلم الرصاص بعرض أطول ألفها الذي يكتب السطر بها، وعلى الطريقة بين السطرين تحشى نصوص الكتابة بدقة فائقة وحساب متكامل شريطة أن يمتلئ الحرف نفسه بنفسه، ثم يضاف لها التشكيلات التزيينية، وأول ما يكتب أشكال ذات الحروف الغليظة من دون إصلاح ترويسات أو تشظية أواخر الحروف بنفس عرض القلم(٤٩).

ومن خصائص هذا الخطّ أنه يحتمل التشكيل كثيرا، ويضاف إليه النقط الصغيرة الدقيقة، مما تزيد الخط جمالا وبهجة، ويتخذ جلي الديواني أشكالا بديعة وتراكيب لطيفة أثناء الخط، ويتصرف فيه الخطاطون كثيرا، ويستعمل في نفس الأغراض التي يستعمل فيها الديواني(٥٠).

ويمكن القول: إنّ خطّي الديواني والديوان الجلي كانا من ابتكار العثمانيين أيضا، وكانا يستخدمان في المكاتبات الرسمية والفرمانات وغيرها، وكانا صعبي القراءة والكتابة، غير أن الصنعة كانت تغلب عليهما، وقد ظلّ العثمانيون لا يستخدمون هذين النوعين إلا في الأغراض المخصصة لها حتى نهاية الدولة العثمانية، مع بعض الاستثناءات القليلة، ثم بدأ استخدام الديواني في العالم العربي بعد ذلك بشكل يختلف عن شكله الأصلي(٥١).

ويعدّ خط الرقعة من الخطوط التي اخترعها الخطاطون الأتراك، وهو خط رائع جميل، وأول

(٤٨) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي**"، المجلد٣، أبريل، ص١٤٢٠.

(٤٩) أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"**إدارة المعرفة وإدارة رأس المال الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي**"، المجلد٣، أبريل، ص١٤٢٠.

(٥٠) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٧.

(٥١) هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): عوامل تميز فن الخط العربي في ظل الدولة العثمانية، السودان، **مجلة التنوير**، مركز التنوير المعرفي، ديسمبر، ص١٩٧.

من أجاد فيه وميز خصائصه الخطاط التركي ممتاز بك، وهو لا يصلح للتركيب ولا للتوليد، وكتابتنا الاعتيادية في أمورنا الحياتية العامة أقرب إلى خط الرقعة من سائر الخطوط، وقد أخذ خط الرقعة هذا الاسم من(الرقعة) وهي قطعة الورق الصغيرة في المكتبات[٥٢].

ومن خصائص خطّ الرقعة أنه تغمض منه العين المتصلة، والواو ابتداء واتصالا، كما تغمض منه الفاء ابتداء، وتنفتح اتصالا، وتغمض القاف ابتداء، وتنفتح وسطا وتغمض انتهاء، وهو خط تجمع فيه النقط، ولا يجوز تفريقها، كما أنه النوع الوحيد الذي يجوز فيه أن تتصل نقط الشين والضاد والقاف والنون والياء في آخر الحرف[٥٣].

ويستعمل خطّ الرقعة في الكتابات الكبيرة والإعلانات التجارية والمكاتب والدوائر الرسمية؛ لسهولة قراءته، وكذلك في عناوين الصحف والمجلات وبعض الكتب، وهو لا يحتمل التشكيل[٥٤].

مكانة الخط العربي عند العثمانيين :

مما سبق تتضح لنا المكانة التي حظي بها الخطّ العربي عند العثمانيين بصورة لم تحظ بها الفنون الأخرى من الاهتمام البالغ والعناية الفائقة، وكمرحلة أولى في تعلم الخط نهجوا إلى تقليد جميع أنواع الخطوط(الأقلام الستة) والمعاصرة لهم، فقلدوا الخط الكوفي–بعد نضوجه وتطوره وتنوعه على أيدي المسلمين– ولا سيما في العصرين الفاطمي والسلجوقي، ورغم إعجابهم الشديد بهذا الخط إلا أنهم لم يستعملوه كعنصر زخرفي فقط في كتابة عناوين ورؤوس الموضوعات في المخطوطات المختلفة، وفي غرة المصحف في الصفحيتين الأوليتين المذهبتين، وأسماء السور في العمائر الدينية، وكذا في الفنون الأخرى، وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وفي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أتقن هذا الخط على يد الخطاط أحمد قرة حصاري الذي استعمله في كتاباته، ورغم ذلك أخذ في الاضمحلال، وقل استخدامه تدريجيا منذ ذلك الوقت، واستمر في اضمحلاله حتى قرب نهاية الدولة العثمانية[٥٥].

([٥٢]) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٤.

([٥٣]) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٤.

([٥٤]) هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر، ص٢٤٤.

([٥٥]) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد

الأتراك والخط العربي :

إنّ رحلة الخطّاطين الأتراك مع الخط العربي رحلة طويلة، أظهروا من خلالها مقدرتهم الفنية في رفد الخطوط العربية القديمة بخطوط عربية من ابتكارهم حملت أسماءهم، وسيبقى تاريخ الخط العربي يفخر بما قدمه الأتراك من خدمات جليلة لهذا الفن البديع، ومن عوامل ازدهار الخط في ظل الدولة العثمانية ما يلي[٥٦]:

- إن الدولة العثمانية دولة واسعة المساحة، جمعت الجنسيات والألسن والألوان البشرية المختلفة تحت مظلة الإسلام، وطالت زمانا حتى بلغت أربعة قرون.
- كانت تعتبر التصوير حراما؛ لذلك شجعت الخطوط والزخارف والنقوش لسد فراغ تحريم التصوير.
- كان الخلفاء يقربون منهم العلماء والأدباء والمبدعين، ويستقطبونهم إلى عاصمة خلافتهم، ويغدقون عليهم المنح والعطايا المختلفة، بل نجد بعض الخلفاء قد تتلمذ على أيدي الخطاطين، وأخذوا عنهم مبادئ الخط العربي.
- كان خطاط السلطان الخاص يتقاضى أربع مئة ليرة عثمانية ذهبا في الشهر.
- بلغ الشعب التركي من الترف ما جعل ذوي الإبداع يعملون في قصورهم النقوش والزخارف والرسوم بمبالغ عالية.
- استطاع الخطاطون الأتراك في ظل تكريم الدولة لهم، وإغداقها العطايا عليهم، أن يبتكروا خطوطا جديدة كالرقعة والطغراء والديواني وغيرها.

ولم يبتكر العثمانيون الخطوط الجديدة فحسب، بل طوّروا بالخطوط فني التجليد والتذهيب.

العثمانيون وفن التجليد والتذهيب :

إذ يعدّ فن التجليد من فنون الكتاب المتممة لعمل الكتاب والرسام، والجلد يحفظ الكتاب من التلف، ويعتني بمظهره الخارجي، وقد تطوّر هذا الفن ووصل إلى ما وصل إليه في عصر الدولة العثمانية لتضيف إليه شيئا جديدا، وذلك عندما أخذ العثمانيون يعتنون بهذا الفن متأثرين بالإيرانيين والمصريين معا، والقفزة النوعية التي حققها العثمانيون في هذا المضمار ابتكارهم لطريقة جديدة استبدلوا فيها جلود الحيوانات بالحرير والمخمل، ونوعوا خطوط التطريز مستخدمين الألوان الزاهية بالإضافة إلى

بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٨٧

(٥٦) هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): أثر أسلوب الخطاط ياقوت المستعصمي على أعمال خطاطي الدولة العثمانية، السودان، **مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية**، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد ١٤، العدد ١، يونيو، ص٨٨.

خيوط ذهبية ومفضضة، حيث أطلق على هذه الطريقة "سردوز "(المخيط)[٥٧].

وقد ظهرت اللوحات الخطية المطليّة بالذهب تعرف بالتركية باسم(سورمة آلتون) لتزيدها بريقا ولمعانا، وهذه اللوحات منتشرة الآن في مساجد وقصور إسطنبول، ومن الأمور التي أوجدها العثمانيون هي الحلية، وهي عبارة عن قطعة فنية رائعة الجمال تتكون من(١١ركنا) وهي تتضمن الآيات أو الأحاديث التي وردت في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكتب على الأطراف أسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، وأول من أوجد الحلية هو الخطاط الحافظ عثمان في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/السابع الميلادي[٥٨].

كما أبدع العثمانيون باستخدام الخط بالزخرفة وخاصة الزخرفة في المساجد، فسطروا بذلك إبداعا لا يضاهيهم فيه أحد.

فقد تأثرت الدولة العثمانية بالفن البيزنطي، وورث العثمانيون سلاجقة الروم في وطنهم وساروا على نهجهم في فنونهم الزخرفية، كما دخلت تأثيرات فنية أخرى كالفن الإيراني وذلك بسبب إحضار مجموعة من الفنانيين الإيرانيين، كما دخلت بعض التأثيرات من فني الباروك والركوكو[٥٩].

ولعلّ أهمّ ما يميز الفن العثماني هو التفاصيل الزخرفية، حيث أصبحت للزخرفة أهمية واضحة، خاصة الزخرفة الجصية، كما بقيت للخزف أهميته الكبرى في التحلية الداخلية، وحدثت فيه تجديدات عدة[٦٠].

ومن أجمل الأمثلة لاستخدام الخط العربي على العمائر العثمانية الآيات القرآنية والكتابات ولفظ الجلالة والأدعية المحصورة داخل دوائر وأشرطة زخرفيه المسجلة بالخط الثلث البديع بداخل القباب وأعلى المحاريب بمسجد السليمانية بإسطنبول، وهو من أبدع منشآت المعمار سنان في القرن السادس عشر الميلادي، وكذلك

---

(٥٧) أشرف فتحي عبد العزيز(٢٠٠٩): **فنون الأتراك وصناعاتهم الفنية في الدولة العثمانية**، مصر، المظاهر الحضارية المشتركة بين تركيا والعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس والجمعية العربية التركية للحوار والثقافة، مارس، ص١٣٦.

(٥٨) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٨٦.

(٥٩) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص٦٤.

(٦٠) تاج السر أحمد حران(٢٠٠٥): **العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية**، ط٢، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ص١٩٤

الكتابات التذكارية وكذلك الكتابات التذكارية المسجلة بالخط الثلث أعلى بعض أبواب جامع السلطان أحمد الأول بإسطنبول، وهو من أجمل مساجد الأستانة[٦١].

وقد عرف العثمانيون مدى تأثير المادة التي تصنع منها الأقلام على جودة الخط وتجويده.

فقد تفنّن الخطاطون الأتراك العثمانيون في الطرق المناسبة لمعرفة الأقلام الجيدة وتقدير مقاسها طولا وعرضا وكيفية بريها ومراحل ذلك، فقد اعتمدوا على أقلام القصب ذات المواصفات الجيدة في الكتابة عامة، وكتابة المصاحف الشريفة خاصة، ولقد أدركوا ما لاختيار الأقلام نوعا وحجما من تأثير على تحسين الخط وتجويده، فوضعوا لذلك مواصفات دقيقة تضمن للخطاط جودة عمله وتسهل عليه مهمته، فكان من أهمها وصف القلم بصلابة ونعومة قشرته واستوائه كالأنبوب الأسطواني، وكثرة لحمه واستقامة أليافه، وقلة عقده وتباعدها عن بعضها بمقدار شبر على أقل تقدير، وثقل حجمه واصفرار أو احمرار لحائه[٦٢].

العثمانيون وتحضير الحبر وصناعته :

وقد طوّر العثمانيون في تحضير الحبر وصنعه. ففي فترة وجيزة استطاع الفنانون العثمانيون التفوق على من سبقهم، وانصبّ اهتمامهم على أهم مواد الكتابة وهو الحبر، وصناعته كانت من اختصاص الخطاط أو الكاتب أو الناسخ لمعرفتهم لمواد تحضيره وطرق صناعته أكثر من غيرهم، وتوسعت صناعته لازدهار الحركة العلمية وزاد الطلب عليه، وجدير بالقول: إنّ الخطاطين العثمانيين ساروا في بداية الأمر على النهج القديم المعروف في صناعة الحبر مع الاستمرار في تحسينه وتطويره على مدى الأيام حتى توصلوا إلى تحضيره من مواد بسيطة وبطرق سهلة[٦٣].

كلمة في الختام :

وبعد هذه الرجلة الماتعة عن أثر الحضارة العثمانية في تطور الخط العربي ندرك أن فن الخط قد تميز في المرحلة العثمانية حيث

---

(٦١) عبد الرحيم خلف عبد الرحيم(٢٠٠٧): المقومات الفنية والجمالية وتطورها في فن الخط العربي، **مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش**، جامعة عين شمس، مصر، العدد٢٤، ص٥٥٨.

(٦٢) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص١٠٤-١٠٥.

(٦٣) الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، **رسالة ماجستير**، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ص١٠٨.

مروره بمراحل مهمة ذات تأثير كبير ومباشر على صورته التي وصلتنا[٦٤].

كما اتضح لنا من المراحل التي مر بها الخط العربي في العهد العثماني بأن الخطاط العثماني بدأ مقلدا للخطوط العربية، ولكنه لم يبق في فلك التقليد، بل تجاوزها ليصل إلى مرحلة التحسين والابتكار، فقد حسّن الخطوط وكتبها بصورة أكثر جمالا، واخترع أشكالا جديدة للخطوط العربية، وقد ساعد على تطوير الخطوط العربية وابتداع خطوط جديدة نظرة العثمانيين إلى فن الخط وإلباسه لباسا قدسيا لصلته الوثيقة بكتابة القرآن الكريم، فضلا عن اهتمام السلاطين العثمانيين بهذا الفن، وعدّه من الفنون التي تقرّب إلى الله عز وجل.

ولاحظنا أن دور العثمانيين لم يقف عند حد ابتكار الخطوط الجديدة فحسب ، بل طوروا بالخطوط فني التجليد والتذهيب، وأبدعوا باستخدام الخطوط بالزخرفة وخاصة الزخرفة في المساجد، وعرفوا مدى تأثير المادة التي تصنع منها الأقلام على جودة الخط وتجويده، كما طوّروا في تحضير الحبر وصنعه.

وبذلك كله يكون قد قدموا خدمة جليلة من خلال ما قد تم رصده في الصفحت السابقة عبر الدراسة ، وعن طريقه بنوا لأنفسهم مكانة سامقة في دنيا الخط العربي وتطوره وبلا ريب يشار إلى حقبتهم التاريخية بالبنان في رفع وإعلاء شأن كلمة الخط العربي عبر العصور والأزمان.

المراجـــع :

١. إبراهيم سليمان شيخ العيد(٢٠٠٩): واقع تدريس الخط العربي في المرحلة الأساسية من وجهة نظر المعلمين والمشرفين، مصر، مجلة القراءة والمعرفة، العدد٨٩، أبريل.

٢. إدهام محمد حنش(٢٠٠٧): فقه المصطلح الفني في الخط العربي، الأردن، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٣٤، العدد٢.

٣. أحمد رمزي(٢٠٠٧): الخط العربي نشأته وتطوره وبدائعه، المغرب، الأكاديمية.

٤. أحمد الطحان ونشوى نبيل وعمرو محمد(٢٠١٢): توظيف جماليات ودلالات خطي الثلث والديواني في استحداث تصميمات أزياء نسائية تتميز بالأصالة العربية، مصر، المؤتمر العلمي السنوي العربي لكلية التربية النوعية جامعة المنصورة"إدارة المعرفة وإدارة رأس المال

(٦٤) عبد الله بن عبده فتيني(٢٠٠٦): تاريخ فن الخط العربي من نشأة الكتابة إلى نشأة البنية الجمالية، **أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو، ص٨١-٨٢.

الفكري في مؤسسات التعليم العالي في مصر والوطن العربي"، المجلد٣، أبريل.

٥. أشرف فتحي عبد العزيز(٢٠٠٩): فنون الأتراك وصناعاتهم الفنية في الدولة العثمانية، مصر، المظاهر الحضارية المشتركة بين تركيا والعرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس والجمعية العربية التركية للحوار والثقافة، مارس.

٦. أماني محمد شاكر(٢٠٠٧): حلول تصميمية جديدة للمعلقة النسجية بالاستعانة بجماليات الخط العربي وأسلوب النسيج ثلاثي الأبعاد، المؤتمر العلمي السنوي الثاني، معايير ضمان الجودة والاعتماد في التعليم النوعي بمصر والوطن العربي، كلية التربية النوعية بالمنصورة، المجلد٢، ١١-١٣ أبريل.

٧. بركات محمد مراد(٢٠٠٨): الفلسفة الجمالية لعبقرية الخط العربي، المغرب، اللسان العربي، العدد٦١، يونيه.

٨. الزبير مهداد(٢٠١٣): الخط العربي: رحلة إبداع، السعودية، الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، العدد٤١.

٩. تاج السر أحمد حران(٢٠٠٥): العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، ط٢، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الرشد.

١٠. جواد جلطي(٢٠١٣): الخط العربي: دراسة في الجذور والتطور من عصر فجر الإسلام إلى العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، الجزائر.

١١. جيهان صدقة سليمان فتيني(٢٠٠٤): دراسة تحليلية مقارنة لتشكيلات الخط الفارسي والخط الديواني والاستفادة منها في ابتكار تصميمات معاصرة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، السعودية.

١٢. عبد الله بن عبده فتيني(٢٠٠٦): تاريخ فن الخط العربي من نشأة الكتابة إلى نشأة البنية الجمالية، أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو.

١٣. عبد الله إسحاق عطار(٢٠٠٦): أثر تدريس مقرر الخط العربي(١٠٥عرب) في تنمية مهارات الأداء الخطي لدى طلاب كلية المعلمين بمدينة مكة المكرمة دراسة ميدانية، مصر، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، المجلد١٦، العدد٦٥، يناير.

١٤. عبد الله بن عبده فتيني(٢٠٠٦): تاريخ فن الخط العربي من نشأة الكتابة إلى نشأة البنية الجمالية، أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو.

١٥. عفيف البهنسي(٢٠٠٦): الخط العربي في فضاء التربية والتعليم، تونس، أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، مايو.

١٦. علي ألب أرسلان(٢٠٠٧): الخط العربي عند الأتراك، السعودية، الدارة، المجلد٣٣، العدد١، محرم.

١٧. علي عفيفي علي غازي(٢٠١٦): الخط العربي في كتابات الرحالة يوليوس أويتنج، الإمارات، مجلة شؤون اجتماعية، المجلد٣٣، العدد١٣٢، شتاء.

١٨. فتحي علي مخزوم احجيبه(٢٠١٥): الخط العربي في العصر الجاهلي النشأة والتطور(دراسة تاريخية)، ليبيا، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع، ديسمبر.

١٩. كمال جبري عبهري(٢٠١٠): الإملاء وكراسات الخط وأهميتها في إجادة الكتابة، وتنمية الجانب الجمالي لدى طلبة الصفوف الأربعة الأولى في مرحلة التعليم الأساسي في الأردن: الواقع والمأمول، الأردن، الموسم الثقافي الثامن والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، تشرين الأول.

٢٠. ماجدولين النهيبي(٢٠١٦): رحلة الخط العربي: من التمثيل الحرفي إلى التشكيل الفني، آفاق لغوية: أعمال مهداة إلى الأستاذ إدريس السغروشني، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، المغرب.

٢١. محاسن جانودي(٢٠١٤): رائدات الكتابة وفن الخط العربي منذ عصر الرسالة وحتى نهاية العصر العثماني، العراق، مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد٧١.

٢٢. محمد الصادق عبد اللطيف(٢٠٠٦): في التاريخ الثقافي التونسي: لمحات من تطور الكتابة والخط في تونس إلى نهاية القرن الخامس الهجري، أشغال الندوة العلمية لأيام الخط العربي الثانية: فن الخط العربي بين العبارة التشكيلية والمنظومات التواصلية، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، مايو.

٢٣. محمـــود عبـــد الله الرمحـــي(٢٠١٣): حروفيات الخط العربي، السعودية، الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، العدد٤١.

٢٤. هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): أثر أسلوب الخطاط ياقوت المستعصمي على أعمال خطاطي الدولة العثمانية، السودان، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد١٤، العدد١، يونيو.

٢٥. هشام إبراهيم عز الدين محمد(٢٠١٣): عوامل تميز فن الخط العربي في ظل الدولة العثمانية، السودان، مجلة التنوير، مركز التنوير المعرفي، ديسمبر.

٢٦. هشام إبراهيم عز الدين محمد علي(٢٠١٦): فاعلية تحوير بنية حروف خط الثلث في تعزيز جمالية اللوحة الخطية، حولية الحرف العربي، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد٢.

٢٧. هشام إبراهيم عز الدين محمد علي(٢٠١٧): تطبيقات الخط العربي في التصميم الداخلي الحديث، السودان، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد١٨، العدد١.

٢٨. هشام إبراهيم محمد وعبد الناصر الزين محمد(٢٠١٧): فاعلية الخط العربي المنمط في تعزيز قراءة العلامات المرورية"دراسة على طريق التحدي–الخرطوم–عطبرة، السودان، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلد١٨، العدد١.

٢٩. هيئة التحرير(٢٠٠٨): أنواع الخطوط وأسماؤها، الجزائر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد٣، العدد٨، ديسمبر.

٣٠. الوليد عباس حسين صالح(٢٠١٦): تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية في الدولة التركية العثمانية في الفترة من عام٨٥٧هـ/١٤٥٣م وحتى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، رسالة ماجستير، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

٣١. ياسر محمد سهيل(٢٠٠٨): خطة ابتكارية لإخراج نماذج تصميمية تشكيلية جديدة من الحرف العربي، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد الحادي عشر، يناير.